الأطفال في أجواء الإعلام

أ.د. هادي نعمان الهيتي*

تؤلف حركة الثقافة وفعاليات الاتصال والتعبير جوًا ذهنيا يتحقق فيه تناقل المعاني بين الأطراف، ويتم ذلك التناقل عن بعد عبر وسائل الاتصال الجماهيري أو وجهًا لوجه.

وتبدو مكونات ذلك الجو في كل مجتمع؛ حيث تطبع تلك المكونات ظلالها على أسلوب الحياة، ويبدو في الجو الذهني لكل مجتمع قدر من التفرد، وقوام ذلك الجو، وحدات تتخذ لها نظامًا على سلالم معينة، واتجاهات بعينها. ولتلك السلالم والاتجاهات درجة من الدينامية، ومستوى من التفاعل، وقدر من التبادل.

ويحيا أفراد المجتمع في هذا الجو الثقافي والفكري، ولهم فرص متباينة من المشاركة في الإرسال والاستقبال، وهم يختلفون في مدى تأثرهم بهذا الجو مثلما يختلفون في اتجاهاتهم، وطرائق تفكيرهم، وردود أفعالهم.

والجو الثقافي والفكري لمجتمع من المجتمعات غير معزول عن الأجواء الأخرى، وكثيرًا ما يتحقق "الاتصال" المتبادل، وبالتالي "التأثير" المتبادل بين هذه الأجواء وتلك.

وعندما يولد الطفل، يجد من حوله مصادر تطلق رسائل اتصالية، يستطيع استقبالها والاستجابة لها، أو التغاضي عنها، أو التمرد عليها، إما بطريقة مباشرة خلال سنيه الأولى، وإما بصورة غير مباشرة بعد ذلك.

وهذا يعني أن الطفل يحيا في بيئة اتصالية، منذ وقت مبكر من عمره، وقوامها رسائل اتصالية متعددة ومختلفة المصادر، منها ما يرمى إلى تحقيق هدف بعينه، ومنها العارض العابر، كما أن منها ما هو مرغوب فيها، ومنها ما هو مرغوب عنها.

وحين يتخطى الطفل السنوات الأولى من عمره يكون قد تجاوز استقبال الرسائل المباشرة، وبدأ في استقبال رسائل غير مباشرة عبر التلفزيون والسينما، وبعدها، من خلال

* عميد كلية الإعلام – جامعة بغداد

الإذاعة والكتب والصحف والحاسوب. وهذا يعني أنه مع ولادة الطفل تبدأ عمليات اتصالية تظل في تطور مستمر؛ حيث يحرص المجتمع على صوغ رسائل ذات مضامين محددة ولها شيء من التفرد في صياغتها والتوجه بها إلى الأطفال في عمليات درج البعض على تسميتها "إعلام الأطفال"، وهذا المستوى الإعلامي يؤلف جزءًا مما يستقبله الأطفال؛ حيث يتلقى الطفل كثيرًا من عمليات الاتصال غير الموجهة إليه أصلاً.

ولا يمكن تصور مجتمع إنساني من دون اتصال بين أفراده وجماعاته؛ ذلك أن الاتصال نشاط دائم للمشاركة في المعلومات. لذا فإن ولادة الطفل تعني - في هذا المجال - بدء تعرضه لمثيرات المجتمع الثقافية في البيئة، مادامت هناك أنشطة مختلفة من الاتصال تقوم على رموز أخرى غير اللغة اللفظية التي لن يكتسبها الطفل إلا بعد حين من ولادته.

وهذا يعني أن الطفل طيلة فترة طفولته يظل مستقبلاً لعمليات اتصالية متعددة المصادر، مختلفة المضمون.

وقد تفرد الإعلام العربي بكثير من السمات، إذ هو في موضع التأثر بالتراث الثقافي، والتراث الديني، والوضع السياسي، والوضع الاجتماعي، إلى جانب ما هو وليد الفكر الوافد، وما هو من إبداعات واجتهادات اجتماعية لها قدر من الأصالة أو التقدم.

وهذه التيارات الثقافية والفكرية، الداخلية منها والخارجية، ذات علاقة بحركة الإعلام العربي، ذلك أن مجمل العوامل تتداخل لتئول إلى الصيغ التي نجدها في تعبير المجتمع العربي عن نفسه وفي تناقله الأفكار، كما نجدها ذات تأثير في توجه المجتمع إعلاميًّا إلى الأطفال، فإذا كانت هموم المجتمع العربي وآماله تتمثل في عدد من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فإن ذلك يتضح ليس في مضمون عمليات الإعلام وحدها، بل في أساليب التعبير إعلاميًّا عن ذلك المضمون أيضًا. ذلك أن العنصر البشري ومكونات الواقع المادية والمعنوية هي التي تحكم مجمل العمليات الإعلامية. وعلى هذا تطبع مجمل الظواهر بظلالها الإنسان في الوطن العربي راشدًا كان أم طفلاً، وتلعب دورًا واضحًا في حركة المشاركة الإعلامية.

وقد عنيت بعض وكالات المجتمع وبعض أفراده بعمليات الاتصال بالأطفال؛ بحيث تؤدي أهدافًا رئيسة تتحقق من خلالها إحاطة الأطفال بالمعلومات والأخبار والثقافة وفرص الترويح.

ويتعرض الجمهور العربي لتيارات الإعلام الداخلي والوافد، أي هو يستقبلها بما في ذلك

جمهور الأطفال، كما يتعرض الأطفال لنشاط إعلامي نوعي موجه للطفولة يسمى إعلام الأطفال؛ إذ تحيط بالأطفال في الوطن العربي مصادر متعددة تبعث برسائلها إليهم، وتتوزع على:

١- الإعلام العربي المتمثل بإعلام (الراشدين).

٢- إعلام الأطفال الذي يتوجه بالأساس إلى الأطفال.

٣- الاتصالات المواجهية في الأسرة وجماعات الرفاق والمدرسة.

ومن خلال هذا التوزيع، يتضح تنوع المصادر الإتصالية أمام الطفولة وتباين طرائق وصولها واختلاف تأثيراتها في بعض المواقف الاتصالية إلى حد التناقض أحيانًا. ومن هنا نتبين أن الطفولة أمام عوامل تأثير شتى؛ حيث تلعب مستويات الإعلام المشار إليها أدوارًا ينبغي أن يعمل المجتمع من أجل أن يدفع بها إلى التكامل في تأثيرها في الأطفال.

ويراد بإعلام الكبار مجمل العمليات التي يستعين بها المجتمع بالرموز اللفظية وغير اللفظية بقصد نشر الأخبار، وإحاطة الآخرين بالمعلومات، وبث الثقافة، والترويح، من خلال أساليب متجددة في التعبير.

ويحيا الأطفال العرب في مجتمع كبير له ثقافة متفردة، تجمع بين عناصرها قواسم مشتركة. وهذه الثقافة، هي الأخرى، تحيا في عالم له ثقافاته المختلفة، وإذا كانت الثقافة العربية تعاني من مشكلات داخلية فهي تعاني، أيضًا، من مشكلات تتعلق بحدود التفاعل مع الثقافات الأخرى في العالم، بما فيها مشكلات التفاعل الإتصالي والإعلامي.

وإذا كانت بعض مشكلات الثقافة تبدو ذات صفة إعلامية، فإن التمعن فيها يفصح أنها ذات ارتباط بمشكلات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية؛ ذلك أن من غير الممكن النظر إلى المشكلة الإعلامية معزولة، في حد ذاتها، عن المشكلات الأخرى في المجتمع.

وبسبب طبيعة النظام العربي، في ذاته، وبتأثير قوى العصر الحاضر، اتخذ الإعلام العربي وضعًا واتجاهًا وأسلوبًا متفردًا. وإذا كان تأثير العوامل الخارجية على قدر عالٍ من التشابك، فإن تأثيرات العوامل الداخلية أكثر تشابكا. ذلك أن مجمل العوامل تتداخل لتئول إلى الصيغ التي نجدها في تعبير المجتمع العربي عن نفسه وفي تناقله المعاني. كما نجدها أيضًا في توجه هذا المجتمع إعلاميًّا إلى الأطفال. فإذا كانت هموم المجتمع العربي وآماله تتمثل في عدد من القضايا والصور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فإن ذلك يتضح ليس في مضمون عملياته الإعلامية وحده، بل في أساليب التعبير إعلاميًّا عن ذلك

المضمون، أيضًا. ذلك أن العنصر البشري ومكونات الواقع المادية والمعنوية هي التي تحكم مجمل العمليات الإعلامية.

وإذا كان هذا الأمر يتضح على صعيد النشاط الذي تتولاه مؤسسات الإعلام الرسمية وغير الرسمية، فإنه يتضح، أيضًا، على صعيد ما تتولاه الأسرة، وعلى صعيد ما تتولاه مؤسسات المجتمع المدني التي منها ما يعمل من أجل تحقيق اتصال إعلامي بالأطفال. ولكن إعلام هذه المنظمات والمؤسسات له تناقضاته وإشكالاته ما دام يجري في مجتمع يعاني من التناقضات والإشكالات.

والإقرار بوجود المشكلات في أي مجتمع يقضي بوجوب حضور التفكير العلمي؛ ذلك أن هذا المستوى من التفكير يتعامل مع أي مشكلة بواقعية، وموضوعية، ومرونة، ودقة، وتنظيم، كي ينتهي إلى وضع الإجابات أو الحلول.

لذا فإننا نحاول هنا التعامل، وفق رؤى المنهج العلمي، مع إيجابيات الإعلام وسلبياته التي تحيط بالطفل العربي من خلال محاولة تبين ملامح الإعلام الموجه إلى الكبار، من جهة، والإعلام الموجه إلى الأطفال، من جهة أُخرى، على أساس أن الأطفال كثيرًا ما يتعرضون للإعلام الموجه إلى الكبار. وقد أثبتت دراسات التعرض أن الأطفال يتعرضون لإعلام الراشدين أكثر من تعرضهم للإعلام الموجه إليهم. لذا فإن إعلام الراشدين له موحياته في الأطفال مثلما لإعلام الأطفال موحياته في الطفولة. حيث إنه يتاح لنسبة من الأطفال العرب استقبال بعض وسائل إعلام الطفولة وبعض وسائل إعلام الكبار، ولما كانت للإعلام تأثيرات موحية، فإن ذلك يقتضي الوقوف على ما يحتمل أن يوحي به مجمل الإعلام الذي يتعرض له الأطفال. ولما كان من غير الممكن الوقوف، ميدانيًا، على ذلك، فإننا في هذه الدراسة نحاول تحليل الإعلام بغية تحديد السمات الظاهرة فيه وما يمكن لها أن تنتهي إليه من إيحاءات للأطفال؛ حيث إن الجو الإعلامي المحيط بالأطفال له تأثيرات إيجابية كبيرة إلى جانب أخرى سلبية. وهذه الدراسة تهدف الى تشخيص أبرز الملامح في إعلام الكبار وإعلام الطفولة التي يحتمل إن تحمل للأطفال إيحاءات، بعضها سلبي؛ ذلك أن فهم أي ظاهرة يقتضي الوقوف على العلاقة بين العناصر المكونة لها.

ولكن تشخيص السمات البارزة في الإعلام العربي للأطفال أو الكبار لا يعني أن لهذه السمات البروز نفسه في كل قطر من الأقطار العربية كلها؛ إذ هي تتباين في مدياتها، في هذا القطر العربي أو ذاك، من الوجود العابر هنا إلى الحضور الدائم هناك، خاصة وأن

العرب يشهدون منذ العقد الأخير من القرن الماضي طبعات عربية من الصحف الدولية وقنوات فضائية عابرة للحدود، وتوزيعًا للكتب وللمطبوعات على امتداد الوطن العربي؛ الأمر الذي أمكن فيه القول بوجود إعلام عربي على الساحات العربية كلها بعد ان كان الإعلام ينشط قطريًا.

ودخول الوطن العربي عصر الاتصال الدولي يعني أن المجتمع العربي يتعامل مع أفكار وأساليب وتكنولوجيات جديدة، تتطلب عقلاً جديدًا في تعامله مع المعطيات الداخلية والخارجية التي لا عهد له بها من قبل.

والإعلام العربي مازال غير قادر إزاء التطورات السياسية والاقتصادية والتكنولوجية والعلمية والمعرفية والاتصالية على مواكبة التحولات الكبرى، إذ إليه لم يستطع استيعاب الواقع العالمي الجديد، حيث يستقبل الوطن العربي من الخارج رسائل الاتصال بصورة مستمرة عبر ما يطلق عليه "التدفق الاتصالي" من البلدان المتقدمة إلى بلدان الوطن العربي، إضافة إلى تبادله الاتصال على الصعيد الوطني والقومي.

وعلى الرغم من أن حركة البحث العلمي في المجالات السلوكية في وطننا العربي تصاعد مستمر، فإن ذلك لم يواكبه، بقدر كافٍ، تغيير في أساليب التعامل الاجتماعي مع الطفولة وفق أسس العلم؛ حيث مازالت بعض الأساليب تركن إلى الاجتهاد الذاتي، أو إلى المحاولة والخطأ، أو إلى الطرائق التقليدية والمتوارثة، وهناك من لا يزال يصر على أن يظل مجتمعنا مجتمعًا للرجل فيحرص على ترتيب الاوضاع للكبار وحدهم قبل غيرهم، مع الحفاظ على دور شكلي للمرأة، واهتمام عابر بالطفولة.

ومن بين الأوضاع التي وجد الأطفال العرب أنفسهم في أجوائها، الوضع الإعلامي؛ إذ يحيا الأطفال في كنف إعلام الكبار، وهم يتأثرون – بقدر أو بآخر – ببعض ما يوحى به، ويتشربون ببعض ظواهره، خاصة وأن من غير الممكن عزل الأطفال عن إعلام الكبار؛ ما دام من سمات الإعلام الجماهيري أن يكون متاحًا للجميع.

وإلى جانب إعلام الكبار الذي يحيط بالأطفال، ظهر بشكل تدريجي، خلال النصف الثاني من القرن العشرين، إعلام للأطفال العرب عبر الكتب والصحف والإذاعة والتلفزيون والسينما والحاسوب. ومع أنه يسعى إلى تحقيق وظائف إخبارية وثقافية وترفيهية، إلا أنه كثيرًا ما يوصف بأنه "إعلام الطفولة" أو "إعلام الأطفال".

الاهتمام الدولي والعربي بإعلام الطفولة:

نال "إعلام الأطفال" شيئًا من العناية الدولية ورد التأكيد عليه في كثير من الإعلانات والمواثيق الدولية، غير أن "اتفاقية حقوق الطفل العالمية" كانت أكثر الوثائق اهتمامًا به؛ حيث نصت مواد وفقرات عدة على حق الأطفال في الاتصال، منها الفقرة التي أكدت: (أن يكون للطفل الحق في حرية التعبير: ويشمل هذا الحق حرية طلب جميع أنواع المعلومات والأفكار وتلقيها وإذاعتها، دون أي اعتبار للحدود، سواء بالقول، أو الكتابة أو الطباعة، أو الفن، أو بأي وسيلة يختارها الطفل)[١].

ونصت فقرة أخرى على أن (تحترم الدول الأطراف حق الطفل في حرية الفكر والوجدان والدين)[٢].

ونصت مادة ثالثة:

(تعترف الدول الأطراف بالوظيفة المهمة التي تؤديها وسائط الإعلام، وتضمن إمكانية حصول الطفل على المعلومات والمواد من شتى المصادر الوطنية والدولية، وبخاصة تلك التي تستهدف تعزيز رفاهيته الاجتماعية والروحية والمعنوية وصحته الجسدية والعقلية، وتحقيقًا لهذه الغاية، **تقوم الدول الأطراف بما يلي:**

أ – تشجيع وسائط الإعلام على نشر المعلومات والمواد ذات المنفعة الاجتماعية والثقافية للطفل وفقًا لروح المادة ٢٩.

ب– تشجيع التعاون الدولي في إنتاج هذه المعلومات والمواد من شتى المصادر الثقافية والوطنية والدولية وتبادلها ونشرها.

ج – تشجيع إنتاج كتب الأطفال ونشرها.

د – تشجيع وسائط الإعلام على إيلاء عناية خاصة بالاحتياجات اللغوية للطفل الذي ينتمي إلى مجموعة من مجموعات الأقليات أو إلى السكان الأصليين.

هـ – تشجيع وضع مبادىء توجيهية ملائمة لوقاية الطفل من المعلومات والمواد التي تضر بمصالحه، مع وضع أحكام المادتين ١٣ و ١٨ في الاعتبار[٣].

وعلى الصعيد العربي، صدر كثير من الوثائق حول إعلام الطفولة من بينها ما أولاه له المؤتمر العربي رفيع المستوى لحقوق الطفل الذي عقد بجامعة الدول العربية خلال الفترة ٢ – ٤ تموز – يوليو ٢٠٠١ إذ دعا المؤتمر مجلس وزراء الإعلام العرب – بسبب وجود ظواهر شديدة الحساسية في إعلام الطفولة في الوطن العربي – إلى (وضع ميثاق شرف

لإعلام الطفل العربي)، ودعوة اتحاد الصحفيين العرب والاتحادات والجمعيات الوطنية إلى (إيلاء هذا الموضوع الاهتمام اللازم)، ودعوة اتحاد إذاعات الدول العربية (لوضع وتنفيذ إستراتيجية الإعلام العربي الموجه الى الطفل والبيئة المحيطة به مع الاستفادة من المبادرات الدولية والإقليمية والتجارب الناجحة، مع مراعاة الخصوصيات الثقافية والحضارية العربية)[٤].

وفي أدبيات المجلس العربي للطفولة والتنمية عديد من الإشارات إلى موضوع الإعلام والطفل، منها إشارته إلى مسئولية وسائل الإعلام عن تشكيل شخصية الطفل وتكوينه، وتنمية قدراته العقلية ومستوى ذكائه، إلى جانب الدور النفسي الذي يسهم في النضج الانفعالي والتوازن النفسي والاجتماعي للطفل[٥].

وأشارت أدبيات أخرى للمجلس العربي للطفولة والتنمية إلى أن الدعوة إلى تقويم سلوك الأطفال وأفكارهم وتنقية آذانهم وأسماعهم من ملوثات العصر قد تبدت وظهرت؛ الأمر الذي أوجب على أجهزة الإعلام دورًا متميزًا في هذا المجال، وأن تعمل على بث القيم الاجتماعية الإيجابية لدى الأطفال، وعلى تنمية قدراتهم الإبداعية والابتكارية، وأن تكون هناك جهات رقابية تقوم بعملية تقويم دوري لنوعية البرامج التي تعرض للأطفال من حيث مستوى المادة العلمية المقدمة، والهدف الذي يسعى البرنامج إلى تحقيقه، ومدى تناسبه مع عمر الطفل ومستوى ذكائه.. وأن تكون هناك جهات مسئولة عن وضع إستراتيجيات وتكوين رؤى مستقبلية عن احتياجات الطفل العربي، ورصد الاحتياجات المادية والبشرية، وتوسيع قاعدة الاهتمام بالأجهزة الثقافية[٦].

ومن هنا تأتي ضرورة تقويم أوضاع الطفل العربي بين إعلام الكبار وإعلام الطفولة على مختلف المصادر الإعلامية بما فيه الإعلام الذي تبثه مؤسسات المجتمع المدني، خاصة أن (مجال الطفولة قد أصبح أحد المجالات ذات الأولوية التي اتجه نحوها قطاع كبير من مؤسسات المجتمع المدني. ويبدو أن الدافع إلى ذلك لم يتمثل فقط في إدراك مخاطر واقع الطفولة العربية، ولكن لأن هذا المجال "محايد سياسيًا"، بمعنى أنه وفقًا للإدراك العربي لا يتضمن مخاطر سياسية، إضافة إلى أنه حقل نشاط يكمل أداء الدولة و"يسد الثغرات" في السياسات الاجتماعية[٧].

مؤسسات المجتمع المدني وإعلام الطفولة:

أخذت بعض مؤسسات المجتمع المدني في الوطن العربي بجانب من النشاط الإعلامي

الموجه إلى الكبار حول الطفولة، والمقدم إلى الأطفال. والتنظيمات المدنية هي كل التنظيمات الاقتصادية أو الثقافية أو الدينية التي تغطي ساحة النشاط الحر غير المنظم بنظام واحد وعام من قبل السلطة، والذي يسمح لهذا النشاط بالتجدد والتنافس والإبداع.. كما أن التنظيم المدني ينطوي ككل تنظيم بشري على عناصر سلطة داخلية تتضمن استخدام وسيلتي القمع والإقناع في سبيل ضبط نشاط الأفراد المنخرطين فيه وسلوكهم. ولكن في جُمَّاع هذا كله، يتميز نشاط السلطة في التنظيمات المدنية بأنه أكثر مرونة وتعددية، وارتباطًا بعوامل عديدة متبدلة مثل الظروف التي تمارس فيها، والتقديرات الشخصية للقادة وقوة العلاقات الشخصية وجاذبية المصالح المادية؛ إذ هي تنظيمات شديدة المرونة وقابلة للتأقلم بشكل أفضل مع الظروف والأوضاع المتبدلة في الزمان والمكان. لذلك لا يمكن الاستغناء عنها، في حين يشكل الثبات والتجريد والعمومية وعدم التمييز شرطًا تعريفيًّا من شروط السلطة السياسية[٨]، وهذه السمات تهيئ لمؤسسات المجتمع المدني الإسهام بمهام إعلامية للأطفال.

وكان أحد اللقاءات العلمية المهمة، وهو الندوة التي عقدتها جامعة محمد الخامس بالرباط، قد تناولت معاناة الطفل العربي، وأشارت إلى عدم وجود منظمات أهلية فاعلة للمحافظة على تكوين الطفل الفكري والجسدي[٩].

وإذا كانت الأسرة تمارس دورًا مهمًّا في التنشئة الاجتماعية ، فإن مؤسسات المجتمع المدني غالبًا ما تكون أكثر حداثة في تعاملها مع الأطفال، بينما يكون المجتمع – في أغلب الأحوال – مثقلاً بالمشكلات حيث إنه (على صعيد الوطن العربي لا تزال البنى الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ضعيفة؛ إذ هو يعيش في مرحلة انتقالية، ويعاني – في كثير من أحواله – من حيرة فكرية وثقافية واضطراب عقائدي.. كما يعاني من قصور في حرية الإتصال؛ إذ هناك كثير من القيود المفروضة على حرية الإعلام، كما تعاني وسائل الإعلام من مشكلات اقتصادية وإدارية، إضافة إلى أن الفجوة الحضارية بين الوطن العربي والعالم الخارجي تزداد اتساعًا[١٠].

إن دخول المجتمع العربي عصر الإتصال الدولي على صعيد الإرسال والاستقبال ومجمل جوانب التفاعل مع الآخرين من خلال الكتب والصحافة بما فيها الصحافة الإلكترونية والإذاعة، والتلفزيون بما فيه التلفزيون الفضائي والسينما، والحاسوب بما فيه شبكة الإنترنت، وضع المجتمع في موضع جديد يتطلب أن يستتبعه تعامل فكري جديد.

ولكن أجهزة الإعلام ليست معطيات جامدة، بل تحمل – بقدر أو بآخر – ثقافة المجتمع وتوقعاته وآماله، وتحمل معها– في الوقت ذاته، إيجابياتها وسلبياتها.

ملامح في إعلام الطفولة:

حقق المجتمع العربي وظائف في الإخبار، والتثقيف، والترفيه بحيث وجدنا إعلامًا إخباريًّا، وإعلامًا تثقيفيًّا، وإعلامًا ترفيهيًّا .. وتوفرت هذه الأنماط الإعلامية الثلاثة للجمهور العام، وللجماهير النوعية مثل جمهور الأطفال، حيث يجد الأطفال أعمالاً صحفية وإذاعية وتلفزيونية أدبية وفنية موجهة إليهم.

والتمعن فيما وضع للأطفال العرب من الكتب، وما صدر من الصحف، وما أعد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وما قدم من الأعمال المسرحية، وما أنتج من الأفلام السينمائية، يكشف عن حقيقة مهمة مُفادها: أن آدابًا وفنونًا قد أنتجت للأطفال العرب، منها ما ارتقى إلى مستوى رفيع، وأن مجمل الذين اقتحموا هذا الميدان من الأدباء والفنانين والكتاب والإعلاميين قد نذروا أنفسهم لمهمة عظيمة، وارتضوا أن يعملوا بمثابرة من أجل تقديم عطاءات فنية وأدبية وثقافية مبدعة.

وقد بذل كثير من أولئك الكتاب والفنانين جهودًا مضاعفة؛ إذ أدركوا ما تتطلبه الكتابة للأطفال من معرفة علمية، فعملوا على مواكبة جوانب من حركة البحث العلمي حول الطفولة وحاجاتها ومراحل نموها العقلي والعاطفي واللغوي والاجتماعي، وحاولوا الوقوف على أسس الاتصال بالأطفال بصورة مباشرة وعبر وسائل الاتصال الجماهيري، بل تحمسوا من أجل أن يتعرفوا على واقع أدب الأطفال وتطوره وثقافته، وعملوا على الانتفاع من تجارب العالم، فاشتركوا في الندوات العلمية واللقاءات الأدبية وتبادلوا الرأي حول مختلف قضايا إعلام الطفولة وفنون الأدب، وارتفعوا بقضية أدب الأطفال وثقافتهم وإعلامهم فجعلوها نصب اهتمام القيادات العليا في بعض الأقطار العربية.

ولكن أولى المشكلات التي تعترض إعلام الطفولة، عمومًا، هي أنه لايتاح إلا لنسبة من الأطفال، ليس بسبب انتشار الأمية وحدها، ولا بسبب مشكلات الواقع الاقتصادي فحسب؛ بل لأن الوعي بإعلام الطفولة بين الكبار وبين الأطفال لا يزال ضعيفًا، فإذا كان الراشدون في بعض البلدان المتقدمة في العالم يعملون من أجل إتاحة وسائل إعلام الطفولة لجميع الأطفال، فإن هذه الظاهرة في مجتمعنا العربي لا تزال ضيقة.

إيحاءات إعلام الطفولة في الطفل العربي:

إذا كان للإعلام، عمومًا، تأثيراته المخطط لها، فإن له، في الوقت ذاته، إيحاءاته الناجمة عن تأثيرات غير مخطط لها أساسًا؛ إذ إن هذه الإيحاءات، تتشكل عرضيًّا؛ نتيجة عوامل عدة منها تأويلات الجمهور للمضمون، ويصدق هذا بالنسبة إلى الأطفال والراشدين معًا.

ومن هنا نعرض لعشر ظواهر تمثل إيحاءات رئيسة، وتبدو كسمات في إعلام الأطفال:

١- غزارة المعلومات:

كثيرًا ما يتجه إعلام الطفولة إلى حشر المعلومات التي تشغل فيه حيزًا واسعًا، في الوقت الذي يتعين فيه الحرص على أن يتضمن هذا المستوى من الإعلام إنماء مهارات التفكير، ليس عن طريق إحكام الربط بين المعلومات نفسها، بل عن طريق إثارة المشكلات والقضايا والتساؤلات التي تكون مدعاة للتفكير.

ويرجع اهتمام إعلام الطفولة بالمعلومات والحقائق إلى مفهوم تربوي قديم يرى أن نقل المعلومات ومفردات التراث الثقافي مهمة جوهرية، في وقت ظهر فيه مفهوم تربوي جديد يرى أن التراث الثقافي ليس غاية في حد ذاته، وأن الغاية الرئيسة من النقل الثقافي هي مساعدة الأطفال على النمو الصحيح عقليًّا وعاطفيًّا، وقد ثبت خطأ النظريات التي تدعو إلى العناية بعقول الأطفال عن طريق ملئها بالمعلومات.

ومن جانب آخر، قد تعود غزارة المعلومات في إعلام الطفولة إلى وفرة المعلومات نفسها؛ إذ هي مبثوثة في كل مجال ويمكن التقاطها بسهولة، يضاف إلى ذلك أن عرضها يتم من دون جهد عن طريق رسائل اتصالية لا تلتزم بضوابط فنية، أو من خلال فقرات متفرقة من دون عناء ولا إبداع فني.

٢- الانشغال بالتفصيلات:

يحرص بعض كتب الأطفال على تقديم كثير من المواد بصورة جاهزة، مستغلين مختلف الإمكانات التكنولوجية والاتصالية في وقت واحد، وكأن الطفل مجرد متلقٍ سلبي؛ الأمر الذي يقلص من نشاط تفكير الطفل، في الوقت الذي يتعين فيه على إعلام الطفولة حفز الأطفال على التجاوب واتخاذ القرارات الواعية.

وكانت مجلات الأشرطة المسلسلة تبالغ في رسومها في إيراد التفصيلات من دون إعطاء مجال لممارسة الطفل لعملياته العقلية المعرفية كالتفكير والتخيل والتصور والتذكر.. ولا تزال بعض برامج التلفزيون، تبالغ، هي الأخرى، في إيراد التفصيلات التي تشغل الطفل بشئون جانبية، أو تقدم الأفكار جاهزة من دون أن يحس الطفل بالحاجة إلى إعمال العقل.

وتوجه انتقادات عنيفة إلى صحف الأشرطة المسلسلة؛ لأنها تحول دون استمتاع الطفل بالقراءة، وتظهر فيها النصوص كالفقاعات لتعبر عن جزء من المضمون فقط، وهي تمثل إسرافًا في استخدام الرسوم، وإغراقًا في عرض التفصيلات؛ مما يقلل من متعة الطفل بالقراءة، ومن تذوقه الأدب، ومن فرص نموه اللغوي المنشود، إضافة إلى أن ما يستقبله من خلالها من أفكار يظل محدودًا، وهكذا يقال عن المواد التلفزيونية التي تقدم الأفكار جاهزة بحيث لا تتطلب إعمالاً للتفكير.

٣- شيوع التقريرية:

يلاحظ أن بعض الموضوعات في إعلام الطفولة تصاغ بأسلوب تقريري؛ حيث تقحم فيه ألفاظ مجردة؛ الأمر الذي يفرغه من القوة والوضوح والجمال، ويحول دون بلوغه المستوى الأدبي أو الفني الذي يكون من خصائصه الابتعاد عن التقريرية أو الخطابية.

ويزيد من هذه الظاهرة لجوء المدرسة إلى بعض أساليب التحفيظ اللفظي، واعتمادها على النصائح والإرشادات المباشرة، واستخدام أساليب تقريرية بدل الأساليب الفنية، مثلما تعمقها الأسرة حين تلجأ إلى الإكثار من الأوامر والنواهي الجاهزة.

٤- ضعف التشويق والجاذبية:

كثيرًا ما تصاغ رسائل إعلام الطفولة صياغة فيها قدر من الجفاف، دون مراعاة لما يتطلبه استقبال الأطفال للرسائل الإعلامية من تشويق ووضوح يتيحان للأطفال الفرص للوصول إلى المعاني الدقيقة، والخروج بانطباعات صحيحة عن الأفكار والمواقف والعلاقات.

ويبدو في إعلام الطفولة وصف المواقف والظواهر، بالرغم من أن الوصف وحده غير كافٍ لتكوين مفاهيم دقيقة؛ لأن الطفل - والراشد أيضًا - لا يمكنهما فهم كلمات تمثل خبرات لم يمر بها من قبل، إذ يتعين أن تتوفر الخبرات الحسية اللازمة للإدراك والفهم.

ومن هنا يتعين أن يبرز التجسيد الفني في إعلام الطفولة من خلال تصوير المواقف والعلاقات والمفاهيم بما يجسمها ويجعلها واضحة ومشوقة، وأن لا يقتصر الأمر على تجسيد

القيم والعلاقات، بل أن يتعدى ذلك إلى الشخصيات وإلى نسيج الحوادث أيضًا، وأن تتضح فيها العوامل الداخلة في التأثير دون أن تظهر الأفكار وكأنها معلقة. ذلك أن التشويق يتمثل في جذب الطفل وإثارة اهتمامه وخلق الرغبة لديه في الاستمرار في التعرض، والاقتناع بالأفكار.

٥- الإجبار على أنماط سلوكية:

تظهر في إعلام الطفولة، أحيانًا، مواقف تبدو فيها وكأن مصادر الإعلام تحاول إجبار الأطفال على أنماط سلوكية بعينها، أو إلزامهم بترك أنماط سلوكية أخرى؛ الأمر الذي يتنافى مع الأسلوب الإعلامي الذي يتعين أن يقوم على الإقناع والاستمالة.

ومن أخطار محاولات إجبار الأطفال على أنماط سلوكية عن غير طريق التجسيد الفني والإقناع، أن يميل الأطفال إلى ترديد بعض المقولات التي تتواتر عن الإعلام دون أن تؤدي دورها في تكوين شخصياتهم وتحديد سلوكهم؛ لأنهم على الرغم من ترديدهم ألفاظًا أو حفظهم قوالب جامدة فإنها لا تقودهم إلى التفكير الواعي؛ إذ يكتفون بالإجابات اللفظية ويستسلمون للإجابات الجاهزة.

٦- الضغوط العاطفية:

يبدو في إعلام الأطفال عند التحليل أن الكبار، وهم يصوغون هذا المستوى الإعلامي، كثيرًا ما يبدون وكأنهم يحاولون إغراء الأطفال بالميل نحو هذا الاتجاه أو ذاك أو حفزهم نحو ولاءات بعينها، أو استدرار عطفهم نحو مواقف، ويصل بهم التجسيد إلى تكرار المواعظ والإرشادات، وفي الأحوال كلها تبدو عمليات الحفز نحو هذا أو ذاك في صيغة ضغوط عاطفية بدل اتباع أساليب الإيحاء نحو قيم عليا واتجاهات إنسانية عامة؛ إذ لا يراد للأطفال أن يتحزبوا ولا أن ينحازوا فئويًا، خاصة أن التعليم المدرسي - إلى جانب إعلام الطفولة - كان ولا يزال يميل إلى إملاء الأفكار على الأطفال بأساليب شتى بما فيها الضغط العاطفي، في الوقت الذي يتطلب الأمر فيه معاونة الطفل على التأمل في المواقف واتخاذ القرار.

٧- الانتقاد اللاذع:

ينطوي إعلام الطفولة على ما يشكل انتقادًا مغالى فيه ضد بعض أنماط سلوك هذا الطفل أو ذاك، ويبدو هذا من خلال صيغ مختلفة بما فيها شخوص القصص، وهذه المغالاة

يمكن اعتبارها إساءة لفظية للأطفال، أو عنفًا لفظيًّا، خاصة أن بعض الانتقادات تأخذ صيغة تحفيز أو تهديد.

وقد وجد أن كثيرًا من هذه الانتقادات ترد في صحافة الأطفال ومسرحياتهم وبعض الأعمال الدرامية التلفزيونية وفي الأعمال الإذاعية. كما أن الأسرة في مجتمعنا، كثيرًا ما تطلق النعوت والكلمات التي تعبر عن انتقادات لاذعة وكأنها أحكام قاطعة، أو اتهامات قاطعة لبعض أطفالها.

٨- إقحام الأطفال في ثقافة الكبار:

ينطوي إعلام الطفولة في كثير من المواقف على ما ينمُّ عن أن الكبار يحرصون على أن يودعوا قيمهم وولاءاتهم وعاداتهم وعصبياتهم في ثقافة الأطفال، ويبدو في هذا حرص الكبار على أن يرث الأبناء ليس روح ثقافتهم فحسب، بل أن يمتصوا سماتهم الأساسية[١١] ومن هنا تحرص الأسرة على أن يكتسب أطفالها ثقافة الكبار قبل الأوان، وهي عادة ما توجه التوبيخات إلى الأطفال في حالة عدم تقيدهم بثقافتها في هذا الموقف أو ذاك.

٩- الميل إلى التقليدية:

تظهر التقليدية في توجهات كثير من الرسائل الإعلامية في إعلام الطفولة؛ كأن العاملين في هذا المستوى من الإعلام مفتونون بجمال الماضي وسحره وأجوائه، ولم يجدوا لصور الماضي بديلاً.

وهكذا فان الارتباط بالتقاليد سمة يمكن تبينها في إعلام الطفولة؛ إذ يبدو في القيم المقبولة اجتماعيًّا على الرغم من أن التفكير الخلاق يستدعي تجاوز عديد من المراكز التقليدية، وبلورة الوعي بالمستقبل، والأخذ بفكرة التغيير والارتقاء والالتزام بالمرونة.

١٠- غياب الاتفاق العام:

يتعين كي يُمسى بمقدورنا أن نطلق على ذلك النشاط الاتصالي الموجه إلى الأطفال مصطلح "إعلام الطفولة"، أن تكون لهذا النشاط روح تعبر عن وجود اتفاق عام إزاء جملة أهداف مركزية حول توظيف إعلام الطفولة في مجالات الأخبار، والتثقيف، والترفيه؛ لأن غياب ذلك الاتفاق يجعل الأطفال يحسون أن في إعلامهم مواقف متضاربة وتوجهات متناقضة؛ كأن الإعلام يريد أن تكون للأطفال أنماط سلوك متناقضة في الموقف الواحد.

وقد حاولت اللقاءات المعقودة حول ثقافة الأطفال وأدبهم، وضع أسس للاتفاق العام، غير أنها اختلفت وذهبت مذاهب شتى في هذا الصدد.

ظواهر في إعلام الأطفال العربي:

١- إن كثيرًا منه وافد:

يلاحظ أن نسبة عالية من الرسائل الاتصالية التي يتلقاها الأطفال العرب جاءت من الإعلام الوافد؛ حيث إن كمًّا كبيرًا من الكتب والبرامج الإذاعية والتلفزيونية مستوردة أو وافدة؛ بسبب قلة الإنتاج الإعلامي العربي المقدم بالأساس إلى لأطفال وضعفه.

٢- إن كثيرًا منه ذو قيم استهلاكية:

يحمل إعلام الأطفال اتجاهات وقيمًا أخلاقية واجتماعية وثقافية وسياسية تتباين تبعًا لمنظور الكتاب والمنتجين. ويلاحظ أن إعلام الأطفال يؤكد على مفاهيم استهلاكية، كما أن برامج الأطفال في الراديو والتلفزيون تنطوي على قيم استهلاكية، في وقت يقتضي أن يحمل إعلام الأطفال في الوطن العربي اتجاهات منافية للاستهلاك، وأن تخرج الإعلانات في هذه الوسائل بأشكال مشوقة وجذابة؛ وعلى نحو لا يدفع بالأطفال إلى السلوك الاستهلاكي.

٣- إن عديدًا منه ذو نزعة لفظية:

تتواتر الشعارات والتعبيرات الفضفاضة والرموز غير ذات الدلالة في إعلام الأطفال؛ لذا يمكن القول بشيوع اللفظية (Verbalism) في إعلام الكبار وإعلام الأطفال معًا. وللفظية تأثيراتها في السلوك حيث ينشأ الأطفال ميالين إلى الحلول اللغوية بدل الاستناد إلى التفكير والربط الموضوعي بين المتغيرات.

٤- إن كثيرًا منه ذو نزعة متصلبة:

يمكن تبين ظاهرة التصلب في مضمون إعلام الكبار وفي مضمون إعلام الأطفال معًا، ويرد ذلك تحت أسماء متعددة "كالثبات على المبدأ" و"الصمود" و"الإقدام" وغيرها من المقولات التي تدفع إلى "التصلب" وتبرره، في الوقت الذي يتعين فيه تنشئة الأطفال على المرونة، خاصة أن "التصلب" طريقة في التفكير تقود إلى التنازع الاجتماعي. لذا فإن بلورته في الطفولة قد تقود بهم - في الكبر - إلى التطرف.

٥- إن بعضًا منه يدفع إلى الانبهار بالآخر:

يمثل "الانبهار بالآخر" مستوى مبالغًا فيه من الإعجاب بالآخر، مع الشعور بانكفاء الذات وعجزها إزاء الآخر؛ لذا فإن الانبهار بالآخر يئول إلى مشاعر اليأس. ويلاحظ أن كثيرًا من إعلام الأطفال يعطي صورة عن الآخر مغالى في قدرتها من دون أن توازيها صورة موضوعية عن عوامل القصور في أداء الذات.

المحيط الاجتماعي لإعلام الأطفال:

يشار إلى أن العوامل والشروط المطلوبة لكي يحدث التأثير المتوقع من وسائل الإعلام متنوعة، ومنها ما له علاقة بالمصدر ونوع الوسيلة الإعلامية اللذين يتعرض لهما الأفراد، ومنها ما له علاقة بالبيئة، أي المحيط الاجتماعي الذي تبث فيه الرسالة الإعلامية، ومنها ما له علاقة بالرسالة الإعلامية بما فيه مضمونها، ثم ما له علاقة بالجمهور[١٢].

وتحدث للأطفال نتيجة تعرضهم للإعلام تأثيرات اجتماعية وعاطفية وعقلية ومعرفية وثقافية وروحية مختلفة، أي تغييرات، ولكن فاعلية التأثير ترتبط بعدد من العوامل، منها ما هو على صعيد المهارات الاتصالية، وحدود الإتاحة، والجو الاتصالي والاجتماعي، وحدود الانتفاع من التطورات العلمية والأدبية والفنية في الاتصال، **ومن أبرز معوقات الاتصال في المحيط الاجتماعي لإعلام الأطفال:**

١- ضعف المهارات الاتصالية للأطفال:

مع أن استقبال وسائل الإعلام نشاط سهل، إلا أنه يتطلب عددًا من المهارات والعادات، كالانتباه، والقدرة على القراءة والكتابة، والقدرة اللغوية، وقدرًا من النضج، وحيث إن هذه المهارات والظواهر تحدث في طور نمو الطفولة، فهي لا ترقى بالأطفال إلى الفهم الواعي، ومهما أخذ الكتاب بنظر الاعتبار خصائص الأطفال في هذا المجال، يظل لهذا الأمر وجود - بقدر أو آخر - خاصة أن عددًا من الكتاب يميلون إلى استخدام العبارات والكلمات الصعبة، ويتناولون الأفكار التي تفوق مستوى نمو الأطفال العقلي واللغوي. لذا تكون لبعض المواد الإعلامية الموجهة إلى الأطفال صعوباتها التي يقابلها ضعف في المهارات الاتصالية للأطفال.

٢- القصور في الإتاحة الإعلامية:

من بين خصائص الوسيلة الإعلامية أن تكون متاحة للجمهور؛ حيث تبين أن أفراد

الجمهور ينتقون - في الغالب - الطريق السهل لتعرضهم، والجمهور ينحو إلى قراءة أو مشاهدة أو الاستماع إلى الوسائل المتاحة، وهو - في الغالب - لا يبذل إلا جهدًا محدودًا. لذا فهو كثيرًا ما يعزف عن التعرض عندما يتطلب جهدًا أو تكلفة كبيرة.

ومع أن التطورات التكنولوجية قد أتاحت للوسائل امتدادًا، إلا أن كثيرًا من الاستخدامات الحديثة تعد متاحة لنسبة محدودة من الأطفال؛ حيث إن بعض الاستخدامات الاتصالية الجديدة ترتب أعباء على الأفراد مما جعل الإتاحة الإعلامية للأطفال العرب قاصرة.

٣- تشبع الجو الاجتماعي بالمشكلات:

نظرًا إلى أن الواقع في الوطن العربي يعاني من مشكلات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية، فإن هذه المعاناة تتسلل، بشكل أو بآخر، إلى إعلام الطفولة؛ لذا نجد في هذا الإعلام مستويين، وكلا المستويين يتعين إخضاعه لروح ناقدة حيث لا يجد الأطفال لأنفسهم وجودًا في إعلامهم إلا بحدود، والإعلام إما أن يبدو وكأنه مشغول بقدر واضح بمشكلات الكبار، وإما غير متوافق مع ثقافة الأطفال وطبيعتهم.

٤- ضعف الوعي الأسري بالطفولة:

يمثل الوعي إدراكًا مستنيرًا ومعرفة ومهارة وتوجهًا بشأن موضوع أو قضية، ويرتبط به كل من السلوك الفردي والجماعي.

ويتمثل الوعي الأسري بالطفولة بمستوى فهم المجتمع لشئون الطفولة وقضايا نموها أو أسس التعامل معها بما فيها التفاعل الإعلامي. ويعد هذا الوعي مطلبًا أساسيًّا للمجتمع في التعامل مع الأطفال؛ حيث إن المجتمع يوكل إلى مؤسساته أدوارًا محددة، ومن بين تلك المؤسسات: الأسرة التي ينيبها المجتمع للقيام بعدد من أوجه العناية والرعاية لهؤلاء الأعضاء الذين هم الأطفال. وأداء الأسرة الدور الذي يوكله المجتمع إليها بشأن الأطفال يرتبط بوعي الأسرة بهذا الدور، بما في ذلك حدود كفايته في تكوين أجواء نفسية واجتماعية للأطفال، ومعاونتهم على النمو.

ولما كان للأنظمة الأسرية المختلفة تفردها حسب بيئة المجتمع وأحواله وثقافته ومجمل قيمه ؛ فقد اكتسب كل نظام أسري خصائص وسمات ومعايير وقيمًا بعينها، واشتمل ذلك التفرد على مجمل الوظائف والمسئوليات بما فيها تثقيف الأطفال وإعلامهم.

ويتألف مجتمعنا العربي من خليط متضارب من علاقات وقيم وبنى اجتماعية تقليدية – من ناحية – وهو (المجتمع) يعيش أزمة التحول التي تعود – في تركيبها ومصدرها – إلى مراحل قديمة، بما فيها العلاقات والقيم العشائرية والطائفية المستمدة من الدم والمعتقد ، والمستحدثة، من ناحية أخرى، وهو مجتمع تابع أي ينقصه الاستقلال والتوجه الذاتي، ويعيش أزمة التحول في ظل الهيمنة الخارجية سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وثقافيًا[١٣].

وتلعب الأسرة دورًا بارزًا في إيصال المعاني إلى الأطفال، كما أن المحيط الأسري له علاقة بتأثيرات الإعلام في الطفولة؛ ذلك أن الأسرة تشكل حصنًا نفسيًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا للطفولة؛ وبذا يُكسب هذا الحضن المعاني التي يتلقاها الأطفال أبعادًا لها خصوصيتها تبعًا لما يوحي به من دلالات وتفسيرات. ولما كان الوعي الأسري العربي بالطفولة مشوبًا بمشكلات اجتماعية واقتصادية ونفسية، فإن ذلك يترك آثاره في الطفولة أيضًا.

٥- قلة الانتفاع من التطورات العلمية والأدبية والفنية:

منذ مطلع القرن العشرين، بدأت في التبلور دراسات العلوم الإنسانية حول الطفولة ونموها، كما تحققت دراسات أدبية وفنية حول أدب الأطفال وأسس الاتصال الثقافي بالأطفال، غير أن الانتفاع العملي من تلك الدراسات ظل محدودًا.

إيحاءات إعلام الراشدين في الطفل العربي:

يحمل إعلام الراشدين إيحاءات عددية للطفولة، ولا يقتصر الأمر على الأطفال العرب وحدهم، بل تبرز هذه النتيجة في الشعوب المختلفة؛ لذا كثيرًا ما توضع الدراسات والبحوث حولها.

وقد نبهت عديد من الأبحاث إلى أن الأطفال العرب يتعرضون لكثير من رسائل الإعلام الموجهة إلى الراشدين. ومن هنا يمكن الوقوف عند عدد من الظواهر الناجمة عن هذا التعرض:

١- الانبهار بالآخرين:

تحمل وسائل الإعلام العربية إلى الإنسان العربي رسائل اتصالية متواصلة تتضمن مختلف الأفكار والأخبار عن الذات والآخر، وفي مواقف متعددة توحي هذه وتلك بدهشة ممزوجة بالحيرة أو التردد مع الإحساس بالضعف، أي هي توحي بالانبهار؛ حيث إن الانبهار هو ظاهرة نفسية واجتماعية يمكن أن تصيب الفرد أو المجتمع.

وبسبب سعة الفجوة الثقافية والحضارية الهائلة بين المجتمعات في عالم اليوم، فإن هناك منجزات مادية، وأشكالاً، وأساليب لهذا المجتمع أو ذاك، تفعل فعلها في إثارة انبهار الآخر، فعلى صعيد الغرب تحول كل شيء إلى عملاق، وبفضل التحول التكنولوجي أصبحت الآلة اليدوية نظامًا آليًّا متكاملاً، وأضحت مراحل العمل الصغيرة عمليات واسعة ومعقدة؛ الأمر الذي جعل الأعناق تشرئب صوب الغرب في دهشة.

وكان دانيل ليرنز في دراسته المعنونة" تجاوز المجتمع التقليدي" قد أشار إلى أن في منطقة الشرق الأوسط قدرًا من الإعجاب بالغرب، وحتى الحكام الذين يلعنون صفحة الاستعمار صباح مساء يلوون أعناقهم مدهوشين بالغرب.

ويعد الانبهار أثرًا من آثار الإعلام.. وقد تبلورت انطباعات لدى العرب عن الغرب.. عبَّر عنها الإعلام بصور شتى.. والمشكلة أن الانبهار يمكن أن يقود إلى اليأس.. لذا فإن انبهار الأطفال بالآخرين يمكن أن يكون مدعاة للتكاسل، خاصة أنهم يجدون أمثلة للتكاسل في المجتمع.

٢- العنف:

يراد بالعنف استخدام القسوة الصارمة لإجبار الآخر على الإتيان بفعل، أو الامتناع عن فعل، وقد يتخذ العنف أسلوبًا فيزيقيًّا كالضرب أو التعذيب أو السجن أو القتل، وقد يتخذ شكل الضغط النفسي.

وعلى هذا ينطوي العنف على ممارسة القسوة الجسدية لإلحاق الإصابة أو الضرر بالأشخاص (أو الممتلكات) ولكن يمكن أن يتمثل العنف أيضًا في الفعل اللفظي، أو غير اللفظي، المرئي مثلاً والموجه من طرف إلى خصم آخر من أجل هدف معين؛ بحيث يتضمن الفعل استخدام الوسائل الجبرية أو القاسية أو التهديد بها بصرف النظر عن الموقف القانوني أو غير القانوني للفاعل، أي بمعنى استخدام القوة أو الخشونة في إصابة أو إتلاف أو شل أو إلحاق الضرر....إلخ، أو تهديد بذلك الاستخدام.. ومع أنه ينظر إلى العنف باعتباره قوة مادية تنتج عنها إصابة ذهنية أو اجتماعية مثل إلحاق الأذى بثقة الناس بأنفسهم، أو إلحاق الأذى بسمعة شخص أو مجتمع؛ حيث إن ذلك يمثل عنفًا كما لو كانت هناك قسوة مادية فعلية(١٤).

وينطوي الإعلام على أنماط شتى من العنف عبر مجمل الوسائل بما فيها الصحف،

والإذاعة، والتلفزيون، والسينما، والإنترنت، وقد ثبت من خلال البحث العلمي أن العنف من أكثر الموضوعات تأثيرًا في الأطفال؛ إذ تنجم عنه المخاوف والمعاناة النفسية والميل إلى التحيز والتعصب، والدفع بالأطفال إلى اللامبالاة العاطفية، فتكرر مشاهد العنف التي تقع على الآخرين تقلل، بمرور الوقت، من حدود اكتراث الأطفال بما يحصل من أحداث واقعية قاسية في الحياة اليومية.

٣- الشدة:

لقد لعبت بعض الإيديولوجيات في الوطن العربي دورًا واضحًا في تكريس التشدد في الرأي، الذي وصل، في بعض المواقف، إلى التصلب والتطرف، وتفاوتت موضوعاته فشملت الجوانب الدينية والطائفية والعرقية، إلى جانب المسائل السياسية والثقافية والاجتماعية.

وحظيت هذه الظاهرة بوجود لها في جانب من الإعلام العربي؛ حيث حاولت بعض وسائل الإعلام بلورة ثقافة التشدد وتعميقها وافتعال تبريرات لها أساليب صريحة، وأخرى ضمنية.

والتشدد أسلوب في التفكير والتعامل له أخطاره على إبداعات الفكر الإنساني، وعلى العلاقات بين الأفراد والمجتمعات؛ لذا فإن له أخطاره على الذات والآخر.

وللمضامين في الإعلام العربي مخاطرها الواقعية؛ فهي تدفع إلى العناد والنظرة الأحادية المغالية في أحكامها وتحتكر لنفسها الصواب، وترى ما عداها باطلاً.. وكثيرًا ما تقف إزاء ما يعارضها موقف الخصومة أو العداء.. لذا يمكن أن ينطوي التشدد على نفرة من أفراد أو جماعات أو قضايا أو مواقف أو أفكار أو مشاعر، وكثيرًا ما تقوم هذه النفرة على أهواء أو اتجاهات أو معتقدات أو صور نمطية معينة؛ إذ يتمثل التشدد في كونه حكمًا مسبقًا ينطوي على اتجاه سلبي ضد الآخر، فردًا أو جماعة أو فكرة أو عقيدة أو شعورًا.

وقد تناولت دراسات نفسية واجتماعية التعصب، بوصفه مستوى في التشدد، لا يقوم - في الغالب - على أسس صحيحة، واتضح أن الجماعات، المتعصبة كثيرًا ما تكون معلوماتها عن الآخر مشوهة، أو غير صحيحة، أو أن الآخر لم يستطع التعبير عن نفسه بشكل يقبله المتعصب، أو أن التنشئة الاجتماعية قد أخطأت في وظيفتها، أو أن الإعلام قد أحدث تزييفًا في المفاهيم. وهذا يعني أن التعصب إزاء الآخر يغلب أن يكون ناجمًا عن سوء فهم وعن مفردات ثقافية أخرى، من بينها الانطباعات والقوالب النمطية؛ حيث إن لهذه القوالب الجامدة تأثيرًا في نشوء حدة التشدد وتزايدها.

ويشكل التشدد حاجزًا يصد كل فكر جديد ويترك ضحاياه بمعزل عن التطور؛ إذ إن كل افتقار إلى المرونة لابد أن يؤدي إلى نزعة مقاومة التغيير الذي يعد الحقيقة الأساسية للحياة. والمرونة قدرة إنسانية تتضح في تعامل الإنسان مع الأفكار وطرائق الحياة وأساليب السلوك من دون تشدد من خلال الاستناد إلى معطيات واقعية، كما أن المرونة ليست سيرًا في الركب، أي هي ليست مجرد ميل نفسي إلى أفكار واتجاهات وأساليب في السلوك المتبنى من الآخرين، ولا هي عملية مسايرة، أي هي ليست انسياقًا وراء الجماعة أو خلف رأي، بل تعد المرونة موقفًا مستقلاً ومنهجًا ينفتح من خلاله المجتمع على الأفكار والعمليات والأساليب، مع إخضاع هذه كلها للاختبار وفق أسس تفكير منظم(١٥).

وكانت التنبؤات قد أشارت في أحد اللقاءات العلمية العربية إلى : (أن التعصب هو أحد أهم التحديات التي يواجهها المجتمع والدولة في الوطن العربي، وإذا لم ينجح المجتمع والدولة في المواجهة الفعالة لهذه الظاهرة، فإن العرب سيدخلون القرن الحادي والعشرين وهم أكثر تجزئة وتفتتًا وتخلفًا وتبعية مما هم عليه. وسيكون أطفالنا هم أول الضحايا)(١٦).

ويجد الأطفال من خلال الإعلام ما يوحي بالتشدد، وما يدعو إلى المواقف المتصلبة أكثر مما يجد ما يحفز على المرونة، كما أن السلوك الاجتماعي من حول الأطفال يدعم، هو الآخر، المواقف المتشددة.

٤ – اللفظية:

تبدو في الإعلام العربي كثرة الصياغات اللغوية التي تعوزها الدلالة الواضحة؛ حيث تتزاحم الجمل والتعبيرات الخالية من المعنى أو ذات الدلالة المشوشة، ويظهر ذلك في الكتابات السياسية من دون أن تسلم منها الكتابات الأخرى.

وهذا يعني أن في حالات عديدة يمكن أن تفقد الكلمات دلالاتها فتخلو اللغة من المعاني، وقد يردد بعض الكتَّاب التعابير والكلمات من دون أن يكونوا على وعي حقيقي بدلالاتها، ومن دون أن تتحول إلى أفعال سلوكية، ويقال في هذه الأحوال إن شيئًا من النزعة اللفظية قد أصابهم.

ويميل بعض الأطفال إلى تقليد الكبار؛ فيندفعون إلى ترديد أقوال الكبار من دون وعي بها؛ إذ هم يرددونها ترديدًا لفظيًا أجوف.

ومن أخطار هذه الظاهرة أن الافكار التي يأتي بها الإعلام بهذه الطريقة لا تقود إلى بناء شخصيات الأطفال بناءً سليمًا، ولا تعاون على تحديد سلوكهم.

٥- التغاضي عن المشكلات المعقدة:

على الرغم من جسامة المشكلات التي يعاني منها المجتمع العربي، فإن الإعلام العربي يصمت عن كثير منها على أساس أنها شائكة أو حساسة.

وإلى جانب ذلك يتغاضى الإعلام العربي عن مسائل مستقبلية كثيرة؛ لذا تظهر بعض المشكلات وكأنها نوازل تحل بنا بصورة مفاجئة على الرغم من أنها وليدة تراكم أسباب وعوامل.

وهناك مسائل كثيرة في تاريخنا القومي أغفلنا التداول الصريح بشأنها بحجة أنها أدنى إلى القداسة؛ وبذا يبدو الإعلام العربي وكأنه وضع غشاوة على عينيه، وهو يتناول بعض القضايا التاريخية والدينية والاجتماعية والسياسية.

وبهذا خلق الإعلام جوا مشوشًا حول كثير من الظواهر والحقائق، وإذا كان ذلك يسبب التوهم للكبار، فهو يغرس في نفوس الأطفال كيفية الكف عن التساؤل، ويمكن أن نحدد جسامة ذلك إذا اتفقنا على أن السؤال هو مبعث التفكير.

والتغاضي عن المشكلات المعقدة يمثل طابعًا هروبيًّا عن الواقع وما فيه من مشكلات، أو محاولة لإظهار الواقع بصورة مثالية على خلاف حقيقته.

٦- تشتت الولاءات:

الولاء حصيلة الإحساس بالانتماء، وهو إدراك نفسي واجتماعي قد يكون له أساس موضوعي، وقد يكون نتيجة انفعال أو توهم.

ويرتب الأفراد والجماعات أولويات ولاءاتهم تبعًا لمقتضيات محكومة بظروف عدة؛ إذ تنتظم تلك الولاءات في تدرج، فهناك ولاء للأسرة، وولاء للجماعة الاجتماعية، وولاء للسلطة السياسية، وهكذا.

وتتباين الولاءات طبقًا لمعايير متعددة، كثيرًا ما تكون مستمدة من الشعور العام والثقافة الاجتماعية.

وتحرص الأسرة، ومؤسسات المجتمع المدني، والسلطة السياسية على كسب الولاءات أو توجيهها باتجاهات محددة. ومن هنا؛ فإن الإعلام العربي على الرغم من أن السمة الغالبة فيه هي محاولته تحقيق الولاء للسلطة السياسية، فإن هناك أجهزة للإعلام تحرص على تحقيق ولاءات لمذاهب وإيديولوجيات بعينها، ومنها ما تحرص على تحقيق ولاءات للشعور العام أو

للثقافة الاجتماعية، ويصل الأمر إلى أن نجد مصادر للإعلام العربي تعمد إلى تحقيق ولاءات للوهم والخرافة، ومنها ما تسعى إلى تحقيق الولاء لاتجاهات ضيقة.

لهذا فإن هناك أزمة في الولاءات على الصعيد الاجتماعي العربي؛ حيث لا نجد قاسمًا مشتركًا بين الولاء لرئيس والولاء للسلطة. لذلك كانت للإعلام العربي أزمته بالنسبة إلى الولاء؛ حيث يجد الإعلام نفسه في حيرة إزاء الولاءات المتباينة والمتضاربة.

ووسط هذه الولاءات تجد الطفولة نفسها، هي الأخرى؛ في أزمة، حيث تتجاذبها من خلال الإعلام ولاءات شتى، منها ما هي إيديولوجية، ومنها ما هي عشائرية، ومنها ما هي بدوية، في وقت يقتضى أن يكون الولاء للمجتمع ومستقبله. إذ إنه في هذا الوقت الذي يمضي العالم فيه نحو مستقبل جديد، لا يزال إعلامنا يدور بين اللفائف القديمة من دون أن يستطيع إخراجها في شكل جديد.

وهنا نشير إلى أن دراسات كانت قد انتهت إلى أن أول أسباب انهيار الاتحاد السوفيتي، هو أنه لم يستطع بناء "مواطن سوفيتي"؛ فقد كانت تتجاذب الناس مشاعر مختلفة إزاء أوطانهم .

٧- محاولة حشر المعلومات في الأذهان:

في الإعلام العربي أعمال أدبية وفنية عالية المستوى، غير أن "علو المستوى" ليس سمة غالبة للإعلام العربي؛ ذلك أنه إلى جوار الأعمال الفنية الإعلامية العربية العملاقة، هناك رسائل إعلامية كثيرة تبدو وكأنها تهدف إلى التلقين، أو حشر أذهان الجمهور بمعلومات لا علاقة لها بالواقع، ولا أهمية لها بالنسبة إلى المجتمع، ولا قيمة فكرية أو عملية لها.

وإلى جانب ذلك وضمن السياق نفسه، تظهر في الإعلام العربي مضامين إيديولوجية ثبت فشلها بسبب انحيازها غير الموضوعي، أو بسبب لجوئها إلى تزييف الوعي، أو اعتمادها تبريرات وحيلاً دفاعية، أو بسبب بطلان دعاواها.

ومن جانب آخر، يضخ الإعلام العربي كميات هائلة من المعلومات تفوق قدرات الجمهور على الاستيعاب.

٨- الميل إلى التسلط:

تشير الدراسات الاجتماعية والنفسية إلى أن مجتمعنا أقرب إلى أن يكون أبويًا أو

سلطويًا؛ لهذا فهو يحرص في إعلامه على غرس الميل إلى التسلط في النفوس من جهة، أو إلى الإذعان للسلطة من جهة أخرى.

ويشار، في هذا المجال، إلى أن المجتمعات العربية كان قد تسيدها في منتصف الخمسينيات نموذج للحكم يسمى الدولة الرعوية، وهي دولة سلطوية ، لها السيطرة على الجميع بما فيها المؤسسات الدينية والتربوية. ومع حقبة السبعينيات، بدأت في الظهور في الوطن العربي ملامح جديدة سمتها الأساسية التخلي التدريجي عن مفهوم الدولة الرعوية وإعطاء دور أكبر للمجتمع المدني، واستمر التحول حتى مطلع التسعينيات في إطار مرحلة انتقالية.. وإن الوطن العربي لم يعرف نمطًا للحكم غير سلطوي(١٧).

ويعمل الإعلام العربي في هذا الميدان؛ لذا تبدو فيه سمة الخضوع للسلطة، في وقت يتكرر فيه القول إنه (قد آن الآوان، في وطننا العربي لإنزال السياسة من مرتبة البطولة إلى مرتبة الوظيفة)(١٨).

ومن هنا، فإن إعلاء سمة التسلط في الإعلام لها موحياتها في الطفولة؛ إذ يمكن لها أن تغرس في الأطفال الخضوع للسلطة؛ وبذا يتهدد المشروع العربي الديمقراطي خطر يتعين أن يساهم الإعلام العربي في مواجهته.

٩- النظرة الأحادية:

يحفل الإعلام العربي بموضوعات عن الأشخاص والأفكار والجماعات والمجتمعات والشعوب الأخرى؛ حيث ترد الإشارة إلى هذا أو ذاك في الأخبار والتحليلات والتقارير وغيرها.. ومن تلك الإشارات ما هو محايد ومنها ما هو منحاز، وغالبًا ما يكون لهذا الانحياز مبرراته ودواعيه، وفي أحيان أخرى، يكون مبعث ذلك الإنجاز عاطفيًا أو قائمًا على انطباعات شبه خاطئة. وإذا كان هذا الأمر واضحًا في إعلام الدول المختلفة، فهو شديد الوضوح في جوانب من إعلامنا العربي؛ إذ تظهر في بعض المواقف التي يعرضها أحادية الرأي والتوجه، وإذا كان هذا قد ظهر منذ بزوغ الإعلام العربي عبر الصحافة، فإنه لم يتحرر من آثار ذلك حتى اليوم، وهو -من جهة أخرى- لم يستطع استيعاب التحولات في التاريخ المعاصر حيث يفترض أن تفرض التعددية وجودها.

ومن ناحية أخرى، تتضح في جوانب من الإعلام العربي اتجاهات تصّل إلى حد التخويف من الآخر وإظهاره قوة مهدِّدة من خلال الإشارة إلى أخطار سياسية أو اقتصادية أو

ثقافية يمكن أن تنجم عن هذا الطرف أو ذاك، على الرغم من أن منها ما هو وهمي أو مفتعل.

وعلى هذا، فإن في الإعلام الذي يحيا الأطفال تحت وطأته نظرات أحادية وافتعالاً لبعض الأخطار، أو تجسيدًا لهذا الأمر الذي يئول إلى وضع الأطفال تحت دائرة القلق الدائم؛ إذ يمكن أن يتصوروا وكأن خصمًا أو عدوًا يحاول الإضرار بهم.

١٠- النزعة الاستهلاكية:

ضاعفت التوجهات الاقتصادية العالمية من المنافسة الدولية من أجل تسويق المنتجات وتحقيق الأرباح؛ الأمر الذي يدفع باستمرار إلى زيادة النزعة الاستهلاكية لدى الأطفال والكبار أيضًا؛ ذلك أن الإعلان ينطوي على إغراءات باتباع أساليب استهلاكية وثقافية.

ومن الشائع تضمين الإعلانات كثيرًا من عوامل الإثارة، حتى أمكن القول إن الإعلانات ذات تأثير قد يفوق تأثير البرامج الاعتيادية. ومن جانب آخر، كثيرًا ما يكون الطفل هو المستهدف الأول بالإعلان عبر وسائل الإعلام.

وتتزايد الإعلانات في وسائل الإعلام العربية، وقد تهيأ للإعلان خلال العقد الأخير مجال واسع في الوطن العربي، وخاصة بعد إنشاء الفضائيات والصحف الدولية والمواقع الإلكترونية.

وهكذا فإن مستويين للإعلام يحدثان تأثيراتهما في الطفولة هما: إعلام الطفولة من جهة، وإعلام الراشدين من جهة أخرى، ويصدق هذا على الأطفال في كل بيئة ثقافية، بما في ذلك البيئة العربية. ومن هنا كانت السمات البارزة في إعلام الطفولة، وإعلام الراشدين في الوطن العربي - التي مررنا عليها في هذا الفصل - إضافة إلى ما يتدفق من الخارج ضمن هذين المستويين، وهو، في مجمله، من عوامل الإيحاء في الطفولة العربية. وتحدد درجة تلك الإيحاءات اتجاهات تلك الظواهر في المجتمع إزاء كل سمة من السمات من حيث مسايرتها أو مغايرتها لاتجاه هذه الظاهرة أو تلك.

ومواجهة بعض الظواهر لا تقتصر على إجراءات تنفيذية في مجال الإعلام وحده ما دامت المشكلة الإعلامية غير منفصلة عن المشكلات الاجتماعية. لذا يتعين تحليل كل مشكلة وفهم عوامل وجودها؛ كي يتحدد الدور الموكل إلى الأنظمة والمؤسسات ذات العلاقة.

ثنائيات في الإعلام العربي:

يكشف تحليل إعلام الكبار الذي يتعرض الأطفال لجوانب منه، عن أنه مشبع بالثنائيات الضدية، وهذه الضديات غير قابلة للتكامل بحيث يبدو من الصعب تعايش الضدين معًا، وإذا كان هذا الأمر مصدرًا لارتباك حياة المجتمع، فهو ذو تأثير - بقدر أو بآخر - في حياة الأطفال؛ حيث يكون الأطفال في مهب تأثيراتها.

ومن بين هذه المفردات الثنائية في الإعلام العربي مايلي:

١- بين المحافظة والدعوة إلى التغيير:

إن تحليلاً موضوعيًا للإعلام العربي من حيث دعواته الكبرى، يفصح عن أن هناك ضدين في هذا المجال يعمل أحدهما على إبقاء الماضي والحاضر على ما هما عليه ومواجهة أي تغيير؛ إذ ترى هذه المفردة الثنائية أنه ليس هناك أفضل مما هو قائم.

أما مفردة التغيير فتقف عند الطرف الآخر داعية إلى تغيير الواقع وبناء الحاضر من جديد، وكلتا المفردتين تحاول تسفيه الآخر وتبرير دعواتها؛ الأمر الذي جعل السيادة للتبريرات الساذجة وسط أجواء فكرية كان بالوسع أن تنهض.

وترتفع في الوقت الحاضر الدعوات إلى التجديد عبر عمليات التحديث أو الإصلاح؛ هادفة إلى إحداث تغييرات مقصودة في حياة الوطن العربي وفي ثقافته، وهي مدار تداول على صعيدي الإعلام، والمواجهة ، ليصل بعضه إلى مستوى التنازع، وإذا كان الكبار ينشغلون - اتصاليًا - بهذا المستوى من التنازع ويقدمون التبريرات الإيديولوجية، أو الموضوعية أو العقيدية، فإن ذلك يجعل الأطفال في حيرة وتردد، خاصة أن من الظواهر ذات الحضور في حياة المجتمع العربي ظاهرة التطرف. ومع أنه ليس هناك مجتمع يخلو من هذه الظاهرة، إلا أن المجتمع العربي شهد في السنوات الأخيرة جوانب من الغلو والتعصب، ومنها ما تسلل إلى إعلام الكبار تحت واجهات شتى.

٢- بين العلم والوهم:

تمضي حياتنا الاجتماعية مستندة إلى تقاليد وقيم متراكمة وأخرى مقحمة، وللفكر العلمي حضوره الهامشي في حياتنا الاجتماعية؛ إذ تتسلل إلى أساليب تفكيرنا كثير من الأوهام.

ويدخل العلم في إعلامنا في كثير من الأحيان لسد المساحات الفارغة، أو لعرض أخبار تطورات العلم في العالم. أما التفسير العلمي للظواهر وأنماط السلوك ، فإن مساحته صغيرة

في حياتنا. ومن هنا؛ فإن هاتين المفردتين من الثنائية تتنازعان معًا فتشتتان الأطفال وتربكانهم.

٣- بين الماضوية والمستقبلية:

وتعني الماضوية التفكير بمنطق الماضي ومناهجه، ومحاولة إعادة تجاربه السابقة؛ لذا فإن الماضوية تنطوي على التعلق بمفاهيم الماضي واتجاهاته والولاء لها والتعامل بعقل محافظ. ومن هنا فإن الماضوية ليست تراث الماضي، بل هي جملة المنظورات التي ترى في الأخذ بالماضي حلاً وبديلاً، وتتجاوز الماضوية ذلك إلى أن تكون منظورًا يحكم على الماضي وعلى المستقبل بعقل قديم.

أما المستقبلية فهي نظرة مبدعة تصهر أفكار الماضي والحاضر لإبداع بدائل وإمكانات فكرية أمام تطور الإنسان والمجتمع ماديًا وفكريًا؛ فالإبداع الفكري يتوجه إلى المستقبل وإن أفاد من تجارب الماضي والحاضر الفكرية منها والعملية.

ومع هذا يستحوذ تناول المستقبل على حيز من الإعلام العربي، غير أن اتجاهات التعبير يكتنفها الغموض؛ إذ هي ذات طابع مشوش وغير محدد في أبعاده ومقوماته، في الوقت الذي تشير الدراسات المستقبلية إلى أن المجتمع الذي يعي المستقبل وعيًا مستنيرًا تتوفر له قدرات على بناء مستقبله.

٤- بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة:

توصف الثقافة الحديثة بأنها تستلهم العناصر الثقافية الجديدة، وتعمل على إعادة ترتيب تلك العناصر في وفق مقتضيات تفرضها معطيات الحاضر والمستقبل، وتتعامل مع الجديد بمرونة.

أما الثقافة التقليدية فهي تحتفظ بعناصرها المتواترة، وأساليبها المتصلبة، وتستعين بالمحافظ من الأفكار، وتقاوم حركات التغيير مثلما تحرص على الحفاظ على ترتيب سلالم قيمها ومكوناتها الأخرى .

ووسط هذه الثنائية يحيا الأطفال؛ حيث تبعث وسائل الإعلام بهذين المنطلقين على مستوى الكبار، وعلى مستوى الأطفال.

٥- بين ثقافة المجتمع وثقافة الأطفال:

إن ثقافة الأطفال تتشكل في كنف ثقافة المجتمع، وكثيرًا ما تذهب ثقافة المجتمع إلى

تقييد ثقافة الأطفال والحيلولة دون تحررها، ويبدو الأمر واضحًا على صعيد الأسرة وعديد من الوكالات الاجتماعية الأخرى.

والمشكلة الأكثر بروزًا في هذا المجال، أن وسائل الإعلام كالراديو والتلفزيون والصحافة الموجهة إلى الأطفال، كثيرًا ما تتقيد بنظرات الأسرة وتجاربها، في وقت يقتضي أن تكون وسائل إعلام الأطفال متحررة من النزعات والأفكار التقليدية. ذلك أن الأطفال يتهيئون لحياة جديدة، تتطلب أن تتشكل ثقافتهم في ظروف تأخذ في الاعتبار أوضاع الحاضر واحتياجات المستقبل.

ومن بين الأسر العربية من يحاول أن يتخطى الأطفال ثقافتهم، ويتعجلوا اكتساب ثقافة المجتمع؛ فيشب الأطفال قبل الأوان. لهذا تكافىء الأسرة العربية الطفل الذي يحسن التشبه بالراشدين؛ حيث إن نسبة من الأُسر العربية ميالة إلى أن يكون الأطفال نسخًا من الكبار.

ولا تقتصر ثقافة المجتمع على ثقافة الأسرة، بل هناك ثقافات فرعية كثيرة في المجتمع العربي، منها ثقافة البداوة، وثقافة الريف، وثقافة النخبة، ولكل ثقافة من هذه الثقافات اتجاهات لها قدر من الخصوصية قد تبدو في حالة من التنازع بين بعض الثقافات الفرعية، أو بين الثقافة العامة وإحدى الثقافات الفرعية.

تأثيرات إعلام الكبار وإعلام الأطفال في الطفولة:

يشكل الأطفال جمهورًا لمصادر إعلام متعددة، بعضها متضاد في اتجاهاته ، غير أن هذا الجمهور عرضة للتأثر بها؛ ما دام التأثير ينطوي على تغييرات في السلوك والتفكير قادمة من رسائل الإعلام ووسائله.

ولكن دراسة تأثير الإعلام لا تزال من العمليات المعقدة؛ حيث لم تصل حركة البحث العلمي في هذا المجال إلا إلى نتائج محدودة. لهذا ظل باب الاجتهاد أمام خبراء الإعلام وخبراء الطفولة مفتوحًا؛ إذ ينحو كثير منهم إلى إيراد احتمالات التأثير في ضوء نظريات سيكولوجيا الاتصال وعلوم دراسة الأطفال.

واستنادا إلى المعطيات المذكورة حول إعلام الكبار وإعلام الأطفال اللذين يحيطان بالأطفال مما يؤلف منهم جمهورًا لمستويين من الإعلام، إضافة إلى امتصاصهم المعاني بصورة مباشرة، ونظرًا إلى تشتت عوامل التأثير في الأطفال وتضادها، فإنه يمكن القول بأن تأثيرات الإعلام في الأطفال العرب تنطوي على تغييرات شاملة على صعيد العقل والعاطفة

والحياة الشخصية والاجتماعية والثقافية. ويظل التحقق من حدود صدق أي احتمال منوطًا بالدراسات الميدانية والتجريبية.

ومن الممكن تصنيف مجالات التأثير على النحو التالي:

١- التأثيرات الجسمية والمهارية:

يمكن تبين تأثيرات جسمية ومهارية نتيجة تعرض الأطفال لوسائل الإعلام المختلفة كالصحافة والإذاعة والسينما والتلفزيون والكتاب والإنترنت؛ حيث إن للطفل فعاليته الحركية الكثيرة، وله أنشطته في اللعب الحركي؛ لذا فإن مهاراته الحركية يمكن أن تنمو بفعل اكتساب طرائق مختلفة من الحركات كالرقص والقفز والضرب والمسك والمصارعة والملاكمة ومختلف الفعاليات الرياضية البدنية؛ حيث يمكن أن تتحق هذه النواحي بفعل التعرض للإعلام.

٢- التأثيرات الذهنية:

وهي التأثيرات الناجمة عن التعرض لوسائل الإعلام، وتنطوي على تلك التغييرات الحاصلة في عمليات التفكير والتخيل والتصور والتذكر؛ ذلك أن التأثيرات العقلية ترتبط بهذه العمليات وبإصدار الأحكام، وتدبير شئون الحياة الخاصة وما تعلق بالتغييرات ذات العلاقة بالذكاء والقدرات العقلية. ومن هنا ؛ فإن التأثيرات الذهنية ترتبط بالعمليات العقلية العليا التي يمكن أن تخضع للقياس.

٣- التأثيرات العاطفية:

وتشمل التغييرات ذات العلاقة بالموضوعات الوجدانية والبناء النفسي، والقدرة على مواجهة مواقف معقدة أو جديدة وحدود ضبط التعامل معها، وأساليب التعبير عن الانفعالات من حيث الهدوء والتأجج، أو التأمل والاضطرابات، أو التمهل والهيجان عند تعرض الأطفال لوسائل الإعلام.

٤- التأثيرات المعرفية:

وتنطوي هذه التغييرات على مجالات متعددة، منها ما تعلق بالعمليات المعرفية كالإدراك الحسي، والتعامل مع المعلومات وعلاقتها بتشكيل المعاني.

٥- التأثيرات في الشخصية:

وتتمثل هذه التأثيرات في ما يحدث من تغييرات في التنظيم الدينامي للفرد، وفي

الصفات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والخلقية والروحية للطفل بفعل تعرضه لوسائل الإعلام؛ حيث إن الشخصية هي الجانب الفردي من الثقافة؛ لذا تنسحب هذه التأثيرات على القيم والمعايير والعادات.

٦- التأثيرات الاجتماعية:

وتشمل هذه التأثيرات مجمل التغييرات المرتبطة بعلاقات الأطفال وتفاعل بعضهم مع بعض، واتجاهات الأطفال نحو الموضوعات والقضايا والجماعات، ودور الإعلام في هذه المجالات، إضافة إلى ما ينجم عن التعرض للإعلام من نظرات ومواقف إزاء الآخر.

٧- التأثيرات اللغوية:

لما كانت اللغة نظامًا من الرموز اللفظية وغير اللفظية التي يستعين بها البشر للاتصال والتعبير، فإن التأثيرات اللغوية تتمثل في التغييرات الرمزية الناجمة عن التعرض للإعلام، ودور اللغة في التعبير، وحدود فهم الأطفال للرسائل الإعلامية، وعلاقة التعرض بكلام الطفل، واستماعه، وقراءته، وكتابته؛ حيث إن للغة مظهرين: أولهما اجتماعي، والآخر عقلي.

ومن هنا؛ فإن التأثيرات اللغوية الناجمة عن التعرض للإعلام، يمكن القول عنها إنها تشمل علاقة التعرض بأوجه النشاط اللغوي ونموه من حيث السرعة والاتجاه.

٨- التأثيرات الخلقية:

وتتمثل هذه التأثيرات في التغييرات الحاصلة في سلوك الأطفال على نطاق الأخلاقيات والآداب وأساليب المجاملة؛ نتيجة التعرض لوسائل الاتصال.

٩- التأثيرات الروحية:

وتتمثل التأثيرات الروحية في التغييرات الحاصلة لدى الأطفال على صعيد القيم الدينية والسلوك الديني، وحدود التعلق بالدين، والعلاقة بين الدين وأنماط السلوك وأنماط التفكير.

١٠- التأثيرات الثقافية:

وتشمل هذه التغييرات مجمل ما يحصل في منظورات الأطفال للكل المركب من العادات والتقاليد والقيم والأفكار والعقائد العامة؛ نتيجة التعرض لوسائل الإعلام.

وتشتمل مجمل هذه التأثيرات على تغييرات كمية وتغيرات كيفية؛ من حيث بروز ظواهر وضمور أخرى نتيجة تعرض الأطفال للإعلام.

الهوامش :

(١) الفقرة الأولى من المادة (١٣) من اتفاقية حقوق الطفل الدولية.
(٢) الفقرة الأولى من المادة (١٤) من اتفاقية حقوق الطفل الدولية.
(٣) المادة (١٧) من اتفاقية حقوق الطفل الدولية.
(٤) تقرير المؤتمر العربي رفيع المستوى لحقوق الطفل، القاهرة، ٢-٤ يوليو، ٢٠٠١، جامعة الدول العربية، ص ٤٢.
(٥) المجلس العربي للطفولة والتنمية، واقع الطفل العربي، التقرير الإحصائي السنوي، ٢٠٠١، ص ٢٠٥.
(٦) المصدر السابق، ص ٢٠٦.
(٧) د. أماني قنديل، تحليل دور مؤسسات المجتمع المدني في تطوير واقع الطفولة العربية، المجلد ٢، العدد ٨، ايلول ٢٠٠١، ص ٥٢.
(٨) د. برهان غليون، بناء المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية، ١٩٩٢، ص٧٣٧.
(٩) المجلس الأعلى لشئون الأسرة، دراسة عن سوء معاملة الأطفال، مجلة الأسرة القطرية، العدد ٢، شباط ٢٠٠٢، ص ٢٢-٢٣.
(١٠) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تقرير ندوة الاختراق الإعلامي للوطن العربي، القاهرة، نوفمبر، ١٩٩٦، ص ٢٢٠ - ٢٢٢.
(١١) د. هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨.
(١٢) مصطفى حجازي، حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨، ص ٦٦.
(١٣) د. محمد عبدالرحمن الخصيف، كيف تؤثر وسائل الإعلام؟ دراسة في النظريات والأساليب، الرياض، مكتبة، العبيكان، ص ٤٨.
(14) Otto N. Larsen, Violence and the Mass Media, Harper.,1968, pp.99-100.
(١٥) د. هادي نعمان الهيتي، إشكالية المستقبل في الوعي العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣، ص ١٣١-١٣٢.
(١٦) د. حسن الإبراهيم، في مناقشته في الملتقى العلمي السادس للجمعية الكويتية تقدم الطفولة العربية، الكتاب السادس، ١٩٨٨.
(١٧) إيليا حريق، الدولة ومسئولياتها في كتاب الدولة والتعليم في لبنان، بيروت، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، ١٩٩٩.
(١٨) عصام نعمان، في مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية عن المجتمع المدني في الوطن العربي، ١٩٩٢، ص ١٦٦.